تشكيل الزمن السردي في القصص القرآني

ـ قصة موسى أنموذجا ـ

الأستاذ: عزالدين هبيرة

أستاذ مساعد-أ-

الملخـــــص:

تتناول هذه الدراسة المفارقات الزمنية من الوجهة السردية في قصة موسى عليه السلام، أي الاختلاف بين نظام ترتيب زمن الأحداث في القصة ونظام ترتيب نفس الأحداث في الحكاية، وذلك باللجوء إلى الكشف عن السوابق واللواحق، وبالتركيز أيضا على دراسة الترتيب الزمني للنص القرآني بترتيب تتبع هذه الأحداث في القصة نفسها، وهذا النوع من التحليل له أثره الجمالي في القصص القرآني، وذلك بالكشف عن التنافر القائم والمفارقات الزمنية في سير أحداثها ؛ وعليه فما مدى فاعلية الزمن في الخطاب السردي القصصي القرآني، وهل إذا خلا القصص القرآني منه فقد شيئا من معطياته التي يجدها الناس فيه؟.

أولا- الترتيب الزمني:

عند قراءة أي قصة لا بد من التمييز بين زمنين، زمن السرد، وزمن القصة، فالأول يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع، ومنه فإن الترتيب الزمني، يعدّ من أهم مستويات الزمان السردي، ولا يفوتني أن أشير إلى نقطة هامة، وهي أنني بتطبيق هذه التشكيلات الزمنية سأكتفي بالتطرق إلى ما يوافق البنية العامة للنص القرآني المقدس.

1-المفارقات الزمنية:

إن المتتاليات الحدثية التي تتناول عرض أحداث قصة ما، قد تأخذ في مجراها السردي خطّين، وفي كلتا الحالتين نكون إزاء مفارقة زمنية، فإما أن يتوقف السرد عند نقطة ما من القصة، فنكون إزاء سرد استذكاري، يتشكل من مقاطع استرجاعية تحيلنا على

أحداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد، وتارة أخرى تكون إزاء سرد استشرافي يعرض لأحداث وتطلعات سابقة لأوانها[1].

أ- اللواحق **Analepses**:

وهذا النوع من المفارقات الزمنية يمكن وجوده في قصة موسى عليه السلام كنموذج تطبيقي لهذه الأداة السردية؛ التي ومن دون شك أنها تحوي بين ثناياها جملة من الارتدادات الحدثية إلى الوراء تذكيرا بما سبق من أحداث، كما سيرصد المقال أثناء تتبع أماكن الاستذكارات وذلك من خلال المحطات الكبرى لحياة موسى، مواطن الجمال الفني لهذه التقنية السردية.

نبدأ من قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما، فلقد وردت مفصلة وبشكل واضح في سورة القصص التي أخضعت للتسلسل الزمني بدءا من حادثة التقاطه في اليم، وانتهاء بحادثة بحثه عن النار، ثم واصل النص سرده لأحداث النبوة وما بعدها معقبا على بعض الأحداث، حيث أخضعها في هذا التعقيب لتسلسلها النفسي بدلا من التسلسل الزمني[2]، وكما تضمنت هذه السورة الظروف التي أحاطت بولادة موسى في قوله تعالى: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين... وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)[3]. فأحداث هذه السورة قد بدأت زمانيا من حادثة الإرضاع، ثم الإلقاء في اليم، فالالتقاط من آل فرعون بمعنى ان السرد فيها كان أفقيا لتسلسل أحداثها، فتبني هذه القصة عالمها باستعراض أفقي لزمنيتها أي للظروف التاريخية للمرحلة التي يشخصها السرد[4]، بمعنى أن ترتيبها الزمني ترتيب موضوعي لا نجد فيه مفارقات زمنية من حيث ارتداد أو استباق الأحداث. لتمضي هذه السورة في ترتيبها الزمني إلى أن تصل إلى اللحظة التي يكز موسى القبطي فيقتله، ويفر إلى مدين، يقول تعالى: (**فوكزه موسى فقضى عليه...إنك لغوي مبين**)[5].

---

(1) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص119.

(2) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص444.

(3) القصص: 4 7.

(4) الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص107.

(5) القصص: 15 18.

ثم يمضي في تفصيل حياة موسى إلى أن يصل إلى حادثة معاودة جريمة القتل، ليرتد السرد إلى الوراء مذكرا موسى بما بدر منه سابقا، وعليه فإن هذه الآيات تتضمن تقنية الاستذكار التي هي عبارة عن إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد من تفصيل لحياة موسى، وفي هذه الحالة تتصل اللاحقة بشخصية الفاعل، التي هي تحت مجهر السرد، والتي يذكر السارد أفكارها فإن تعلقت هذه الأفكار بالماضي، وردت في شكل ذكريات فتلك لاحقة ذاتية، وإن ذكر السارد التطلعات المستقبلية لتلك الشخصية فتلك سابقة ذاتية، ويبدو هذا مثلا حين تعود مشاهد الحياة الماضية في ذاكرة الفاعل وإحساساته[1].

وللواحق وظيفتين؛ الأولى متممة وتأتي لسدّ مسبقا ثغرة لاحقة، والأخرى مكررة تضاعف بصفة مسبقة مقطوعة سردية آتية[2]، واللواحق المكررة متعلقة بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات فتورد غالبا فواتح كثيرة كذكر عرضي لاحمرار الوجنتين أو لارتباك أو رعشة تحس بها الشخصية، ولا يفهم القارئ معناها إلا عندما يربطها ببعضها ويصلها بسير الأحداث المنبئ بنمو الحب في كيان الشخصية، وهذا ما نجده من أمر الفتاتين اللتين سقى لهما موسى في قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم إمرأتين تذودان...فسقى لهما...فجاءته إحداهما تمشي على استحياء...)[3]. كما نلاحظ عودة بالزمن إلى الماضي بعد أن كانت الوظائف الثلاث تتضمن الحاضر والمستقبل، فالزمان المرتد إلى الماضي يتمثل في سمتين أشارت الفتاة إليهما هما: سمة القوة؛ وهي ملمح خارجي للبطل، وسمة الأمانة؛ وهي ملمح داخلي للبطل[4]. ويمكن القول هنا إن الحالة النفسية التي كانت عليها الفتاة من حياء وخجل واحمرار الوجنتين ساهمت في التحليل النفساني لمشاعر شخصية الفتاة، وسيحيل هذا التحليل إلى ما ينتظر الفاعل موسى في المستقبل من أمر هذه الفتاة ووالدها.

---

(1) مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، جميل شاكر، ص77.

(2) المرجع نفسه، ص80.

(3) القصص: 22 26.

(4) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص465.

لقد دامت إقامة موسى تمدين عشر سنوات، وفي طريق العودة إلى مصر كلّف بأداء الرسالة وفي هذه المرحلة تظهر تقنية السرد الاستذكاري متمثلة في عنصر التذكير بالعظة التي تتضمنها الآية في قوله تعالى: ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، وقال موسى يافرعون إني رسول من رب العالمين، حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل**﴾.[1].

وتظهر اللاحقة في هذه الآية من الإشارة الضمنية في قوله تعالى: ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ [2]. أي بالارتداد السردي من نهاية الحدث لترتد الأحداث إلى البداية، متمثلة في خطاب موسى لفرعون بأنه رسول من رب العالمين، مطالبا إياه بفك الإسرائيليين وتخليصهم من الاستعباد الفرعوني لهم مشيرا إليه بأن لديه آيات تدعم صحة اضطلاعه بالرسالة، وعليه فإن هذه الحلقة الزمنية عبرت عن الأحداث السابقة للنقطة الزمنية التي بلغها السرد.

كما يظهر الارتداد الزمني إلى الوراء، حينما تشرع قصة موسى في سورة طه بالأداة الظرفية المختصة بالمنصرم من الزمن لحظة السكينة والاهتداء والاستئناس[3] في قوله تعالى: ﴿**إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم بقبس أو أجد على النار هدى**﴾ [4].

وبعد سرد حادثة إلقائه في اليم، ترتد القصة إلى ما قبل ما تعرضت له سورة الأعراف، فكان البدء على النحو الآتي في قوله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى نارا فقال لأهله أمكثوا إني آنست نارا لعلي أتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)[5]، فالسرد القرآني هنا يرجع بالأحداث إلى الوراء والغاية من ذلك كله التذكير

---

(1) القصص: 103 108.

(2) القصص: 22 26.

(3) الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص114.

(4) طه: 10.

(5) طه: 9 10.

بالنعمة؛ حيث يعود البيان القرآني في سورة القصة من بدايتها عندما يكلم موسى ربه، حيث النار المشتعلة ويكلفه ربه بالرسالة، ويطلب موسى من ربه أن يجعل له معينا على هذه المهمة الشاقة، ويجيبه ربه بأن يجعل أخاه هارون مساعده ومعينه، كما أراد، ويذكره مننا بنعمه التي أسبغها عليه منذ ولادته إلى اليوم وهذه هي العودة إلى بداية قصة موسى، التي يستدركها السرد القرآني، ويضمنها في القصة، وبعد هذه البداية واصل النص حديثه عن موسى وفق تسلسل زمني هو: تكليم موسى وأمره بالذهاب إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿**فلما أتاها نودي ياموسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إنني أنا الله لا إله إلا أنا، فاعبدني وأقم الصلاة لذكري...**﴾ [1].

فاللاحقة الزمنية الواردة في هذه الآيات تظهر من خلال حادثة التكليم بالواد المقدس، ومطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، وجواب موسى بطلب من السماء بأن تزيح عقدة لسانه، وذلك بأن ترسل معه أخاه هارون في قوله تعالى: ﴿**رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري**﴾ [2] هذه اللاحقة المكررة تتعمق هي الأخرى بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات التي ترد غالبا بصفة عرضية كارتباك أو رعشة تحس بها الشخصية، وهذا ما كان من موسى لما أمره الله بالذهاب إلى فرعون، فأصابه الارتباك، وطلب من الله أن يمده بأخيه هارون مساعدا ومعاونا، ليرد عليه السارد بقوله: ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾ [3].

لقد استغلت السردية في سورة طه الزمن بصورة فنية حركية، فباشرت القص من سياق زمني متقدم، حيث كان ظهور موسى الذي استهلت به القصة يؤقت لميعاد البعثة، وكسر رتابة الزمن الميت، ومن هذا الزمن الميت، ومن هذا المستوى السردي أثارت السردية موقف اللقاء والاصطفاء، لترتد بعد ذلك إلى الوراء إلى زمنية الميلاد والنشأة ولسرد مراحل

---

(1) طه: 11 16.

(2) طه: 25 32.

(3) طه: 36.

حياة موسى في إنجاز مضمنية القول بواسطة لمرقمية الحوارية عن أوضاع زمنية بعينها. ومن ذلك مثلا (مواجهة السحرة)، (مواجهة موسى لأخيه وقومه بعد ردتهم)...إلخ[1]؛ لكن ما الغاية من هذه اللواحق الزمنية من النهاية إلى المراحل الأولى من حياته، ثم العودة من جديد إلى متابعة ما قطعه السرد؟ وإن هذا الارتداد بالأحداث إنما هو تذكير لموسى بالعطاءات المتكررة، حيث يبدأ بالعودة إلى المرحلة الأولى من حياته: كما يمكن القول أن الزمن ارتد بصورة مدارية إلى الوراء، ثم تصاعد في مستوى خطي ماسحا المراحل التي سبقت وأعقبت تلك الزمنية الخارقة من حياة موسى، زمنية المثول في حضرة ولقاء الله، لينتهي بالقصة إلى أطوارها المتأخرة من حياة فاعلها موسى مع قومه، من المؤمنين الناجحين، لذا أخذت زمنية الهداية واللقاء صدارة سردية في عرض أحداث القصة لتنطلق إلى ماضي حياة موسى، ثم تصعد بالسرد وتبين ما جرى بين هذا النبي وأعدائه[2].

ويستمر السرد القرآني في عرض أحداث القصة، ليأتي حدث المباراة بين موسى والسحرة، وما كان فيها من أنباء، فكل هذا تتعرض له القصة باعتماد تقنية السوابق أو الاستشراف السردي، وهذا ما ستتناوله الدراسة في حينه، لتنتقل الدراسة إلى قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء، والتي تضمنت حدثين بارزين؛ الأول ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك حدث ما حدث، وبعد أربعين ليلة قضاها موسى في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري، وهذا هو الحدث الثاني.

ويتضح لنا السرد الاستذكاري الأول بعودة السرد إلى الوراء من قصة موسى في سورة الأعراف بعد هلاك فرعون، خاصة وأن هذه السورة قد تناولت جملة من الأحداث بما فيها حدث موسى مع آل فرعون، فجاء السرد عبارة عن تعقيب على أحداث: ومواقف فيما يشكل هذا التعقيب عنصر التذكير بالعظة والتي ينبغي استخلاصها، بنحو يتناسق مع أفكار القصة وموضوعاتها[3]. وقبل هذا يسرد علينا القرآن الكريم ذلكم النداء العلوي

---

(1) الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص117.

(2) المرجع نفسه، ص117.

(3) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص151.

الجيل إلى بني إسرائيل، يذكرهم بنعم الله عليهم ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهدهم معهم، وبعد تذكيرهم بالنعم التي أسبغها عليهم يرجع ويعود بتخويفهم باليوم الذي يخاف، حيث يقول تعالى: ﴿**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين**﴾[1]، وهذا التفصيل الذي خصه الله ببني إسرائيل موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم بعدما جحدوا نعمة الله عليهم وعصوا أنبياءهم ونكثوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد[2].

ويقدم السرد القرآني قصص موسى مع الإسرائيليين في بداية فصل جديد في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿... **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون**﴾[3]، وما يلاحظ في هذه الآية هو ربط الأزمنة ببعضها اللاحقة بالسابقة في فنية عالية؛ فالأزمنة السابقة متعلقة بقصة الأقباط، والقصة الحالية قصة الإسرائيليين، الأمر الذي أدى إلى نمو الحدث وتطوره وتعبيره عن المستقبل من الأحداث.

وفي قوله تعالى: ﴿**وإذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾[4] ففي هذا الربط للسابق باللاحق تتجسد العودة إلى الوراء، أثناء تذكيرهم بنعم الله عليهم، إلا أنهم جحدوا بها... أما الزمن الآتي أو السابق، فيتجسد من خلال تذكيرهم بما ينتظرهم من مصير أسود يشبه مصير الأقباط[5].

ولا تزال اللواحق تصنع الحدث في قصة موسى خصوصا في المرحلة الجديدة من علاقته مع بني إسرائيل بعد حادثة هلاك فرعون، ليتم الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا

---

(1) البقرة: 47 48.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب، مج1، ج1، ص69.

(3) الأعراف: 137.

(4) الأعراف: 141.

(5) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص168.

إلى الخير الآسيوي لتتضمن هذه المرحلة حادثة السرد الاستذكاري عن طريق تذكيرهم بنعم الله عليهم، أثناء رفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يدخلوها.

لقد تضمنت اللواحق في قصة موسى العديد من المواقف أثناء الارتداد بالأحداث إلى الوراء أو ما يعرف بالسرد الاستذكاري، من هذه المتضمنات التذكير بالنعم السابقة، كذا ساهمت في التحليل النفساني للشخصيات، وقد جاءت أحداث القصة وبناء على هذه اللواحق متكاملة يتمم الحدث الواحد منها الآخر في صورة فنية وسردية راقية، فماذا عن السوابق؟

-ب-السوابق Prolepses "السرد الاستشرافي":

وكما كان الشأن في المفارقة الزمنية الأولى (اللواحق) التي رصدت مختلف هذه المفارقات الزمنية عبر المتتاليات الحدثية في قصة موسى، فكذلك بالنسبة للسوابق الزمنية التي سنحاول من خلالها تتبع أماكنها في المحطات الكبرى من قصة موسى، انطلاقا من المتتاليات الحدثية باعتبارها رسمت المسار السردي العام لقصة موسى ومرتبة الأحداث.

إن الاستشرافات السردية في قصة المولد والنشأة قليلة، نظرا لأن الترتيب الزمني لهذه السورة ترتيب موضوعي، إلا أن ذلك لا يمنع من رصد بعضها، من ذلك مثلا أن سورة القصص أضمرت ولادة موسى واتجهت مباشرة إلى الرضاعة وإلقائه في اليم، وعندما أشارت البداية القصصية إلى عملية الرضاعة وإلقائه في اليم عقبت على ذلك في قوله تعالى: ﴿**ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾[1]. يظهر السرد الإستشرافي هنا، أو السرد الإستطلاعي من خلال التنبأ بمستقبل عودة موسى إلى أمه وإلى أنه سيصبح رسولا من الله إلى قومه.

كما يظهر عند التقاط موسى من طرف فرعون، والذي سيكون طرفا في الصراع الذي أنبأتنا المقدمة القصصية به مقابلا لفرعون وهامان، وجنودهما، وهذا في قوله تعالى: ﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾[2].

---

(1) القصص: 7.

(2) القصص: 8.

العديد من المواضع ليوحي موسى نفسه لأنه في حالة ارتباك، ومع تهيئة الجو العام بالذهاب إلى فرعون يذكّر السرد القرآني نبيه بالمساعدة والمؤازرة تقوية له، وقد ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿**لنريك من آياتنا الكبرى، إذهب إلى فرعون إنه طغى، قال رب اشرحلي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهو قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا، قال قد أتيت سؤلك يا موسى**﴾ [1].

فهذه الآيات اتضح السرد الاستشرافي فيها من خلال التمهيد للأحداث التي ينتظر وقوعها، لذا جاء السرد الرباني ممهدا ومهيئا لنبيه قبل اضطلاعه بمهمة الرسالة. وتواصل القصة في عرضها للأحداث ليطل السرد الاستشرافي انطلاقا من التعقيب القائل عن فرعون: ﴿**ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى**﴾ [2]،الموقف الذي استدعى تحدي فرعون لموسى: ﴿**قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى، فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت سوا**﴾ [3]، ومع هذا التحدي تنبؤنا السابقة للآية والمتضمنة للسرد الاستشرافي عن البيئة التي ستشهدها حادثة المواجهة بين فرعون والسحرة، والملاحظ هو حالة الاضطراب التي ارتسمت على فرعون أو ما يمكن التعبير عنه بالسابقة المكررة، المتعلقة بالتحليل النفساني لمشاعر الشخصيات، التي تظهر على شكل انفعالات واضطرابات لا يفهم مصدرها إلا بالعودة إلى مسبباتها، وهذا ما كان من أمر فرعون، فكشف السرد عن قلقه، ونفسيته المتخوفة من فشل جماعته، ويحدث اللقاء، ويصدق النبأ الاستشرافي الذي وعد موسى بالمساعدة والمؤازرة، لنجد الأحداث لا زالت تسير على نفس النهج الذي اختطته لنفسها، لأن الموقف يتضمن المضي قدما إلى الأمام لمواجهة هذا الطاغية الجبار، لنشهد موقفا آخر جسّده فرعون في غضبه على السحرة بعد إيمانهم بموسى وبرسالته، وتماديه وقومه في أعمالهم وإصرارهم على كفرهم وإيذائهم لبني إسرائيل، ومحاولات التهديد بالقتل [4].

---

(1) طه: 23 36.

(2) طه: 57 58.

(3)

(4) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. محمد محمود حجازي، ص365

كما تضمنت هذه المرحلة استشرافات زمنية تعلقت بميلاد موسى، وذلك من خلال الآيات التالية: (**فالتقطه آل فرعون**)، ﴿**وقالت امرأة فرعون قرة عين**﴾ [1]، ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغا**) (**هل أدلكم على...** ﴾ [2]، فهذه الأحداث سردت بعد واقعة القذف بالوليد في اليم، وقد سلسلها السرد في آيات متعاقبة، وفي سياقات سردية وحوارية، وإنه ليمكن افتراض شبكة علاقات تزامنية أو تتابعية بين وقائع هذه السياقات التي يساهم السرد وبشكل كبير في التحليل النفساني للمشاعر، فمثلا في آية ﴿**فأصبح فؤاد أم موسى فارغا**﴾ فالسرد القرآني صوّر الحال القائم بما فيه من مظاهر الحنين والخوف الذي أطبق على أم موسى، منذ لحظة قذفها بالوليد في اليم، ويستمر معها بموازاة كل الوقائع التي تعقب فعل القذف وهي الالتقاط والتحسس عن مآله، والاستبشار به[3].

وعلى المستوى الوظيفي كان لبعض الاستشرافات دور تمهيدي لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها، وتكون غايتها هي حمل القارئ على توقع حادث ما، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات كما أنها تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخوص من ذلك مثلا ما نجده من أمر زواج موسى بإحدى ابنتي شعيب، وهذا بعد عملية الاستئجار التي ارتبطت فيما بعد بعملية الزواج،يقول تعالى: ﴿**قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانية حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين**﴾ [4].

فالحوار الذي دار بين الفتاة وموسى، والفتاة وأبيها رسم مشهدا استشرافيا، وتضمن لحظة المستقبل بالتهيئة لأكبر حدثين لهما خطورتهما في حياة الاستقرار والتوازن: الزواج والعمل[5]. وقبل عرض موسى معجزاته على فرعون جاء السرد الاستشرافي في

---

(1) القصص: 9.

(2) القصص: 12.

(3) الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ص109.

(4) القصص: 27.

(5) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص465.

وبعد أن اقتصعت القصة سلسلة من الزمن متمثلة في ردود الفعل التي تركتها دعوة موسى إلى القوم متمثلة في قولهم: ﴿...**اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم...**﴾ [1] وجاء التعقيب الرباني على هذا بقوله: (...**وما كيد الكافرين إلا في ضلال**) [2] بمعنى السرد الاستشرافي سيكشف عن هزيمة فرعون ومن هنا تعود القصة إلى التسلسل الزمني للأحداث من جديد لتواصل ردود الفعل التي تركتها الدعوة وفقا لتسلسل الأحداث، وهذا في قوله تعالى: ﴿**وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدعوا ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾ [3]، كذلك بروز الشخصية الجديدة على مسرح الأحداث ساهم في تفعيل الأحداث، وباستشراف الزمن، حيث بدأ من حيث بدأ فرعون أثناء تفكيره بقتل موسى الذي قال قبل أن يختفي من مسرح الأحداث:﴿**وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**﴾ [4]، لينطلق موسى بقومه إلى البحر وهلاك فرعون، وهذا ما أخبرت به الآية في قوله تعالى: ﴿...**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين...**﴾ [5].

لقد أسفرت هذه المرحلة من القصة بتفوق موسى على فرعون بناء على الوعد الرباني له، ليأخذ موسى قومه ويرحلوا عن مصر، بعد هلاك فرعون، ليستقروا في شبه جزيرة سيناء، وهذه بداية لسرد أول حادثة بعد حادثة إغراق فرعون، حيث بدأ حنينهم إلى عبادة العجل، وهم يعبرون البحر[6]، ويذكر السرد القرآني بسوء عاقبة ما يفعلون، بمدة زمنية عبرت عن مستقبل قادم، إلا أن النص القرآني لم يحدد الوقت وإنما رسم المصير الأسود الذي يتوافق والعناد الذي جوبهت به نعم الله على الإسرائيليين.

---

(1) غافر: 25.

(2) غافر: 25.

(3) غافر: 26.

(4) غافر: 27.

(5) يونس: 88 92.

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3، ج9، ص1365.

إن ما يهمنا إليه الدراسة بعد رصد المفارقات الزمنية من لواحق وسوابق في قصة موسى، وانطلاقا من المتتاليات الحدثية وتتبعا لسيرها بحسب ترتيب النزول: هو أنها قصة فنية بكامل المعايير والمقاييس، فضلا عن كونها تربوية وهو الغرض العام للقصص القرآني، كما تسجل الدراسة هذه المفارقات بناء على الهدف الذي سيقت من أجله القصة في السورة القرآنية.

ثانيا–الإيقاع الزمني (الديمومة):

ويمكن التعبير عنها –الديمومة– بسرعة السرد أو بطئه، ولكونها صعبة القياس، فقد اقترح جيرار جنيت دراسة الإيقاع الزمني من خلال التقنيات الحكائية التالية: الخلاصة، الوقفة، الحذف والمشهد[1].

فهذا التعريف على صحته ينبغي التعامل معه بتحفظ، فإن قلنا الأحداث التي استغرقت في الرواية الأدبية مدة طويلة ينبغي اختزالها، لأنها لا تؤدي الغرض أو تخلّ بفنية الرواية، فهذا يمكن، أما أن نطلقه على عمومه على القصة القرآنية، فمن غير المعقول، لأن –النص القرآني– أحداث قصصه تخدم الغرض الفني ناهيك عن التربوي، حتى وإن اختزلت بعض الأحداث فإنما يكون ذلك لغاية أرادها السارد لا تخلو من تحقيق المتعة الفنية، والغاية التربوية، وكذلك وصف القفز على بعض الفترات الزمنية بأنها ميتة من زمن القصة: فأيضا هذا الرأي لا يمكن أخذه على إطلاقه أثناء التعامل مع النص القرآني المقدس، إذ من غير الممكن أن نصف القفز على فترات زمنية معينة بأنها ميتة، ولابد كذلك من تثمين أخير لوظيفتها، اللاحمة التي تختص بربط أجزاء المتن الحكائي بعضها ببعض، وتعمل على تحصين الأعمال السردية، من التفكك والانقطاع.

أما ثاني التقنيات التي تختص بسرعة سير الحدث، وتلعب دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، فهي الحذف... ويكون زمن السرد فيها منعدما أو أصغر بما لا يقاس في زمن القصة[2]. وهذا طبعا ما يوجد في قصة موسى، فأثناء سرد الأحداث قد يتوقف السارد عند نقطة زمنية ما لعظة أو لتذكير بالنعم، فهنا يكون زمن السرد قد توقف. ويمكن

---

(1) بنيةالنص السردي من منظور النقد الأدبي،حميد لحمداني، ص76.

(2) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص144

أن يُطبق على الحذف السرد الإضماري. كما هو الشأن في السرد التلخيصي، لأن الإضمارية تغييب لأجزاء معينة في فنية سردية عالية؛ وقد يتجه السرد القرآني أحيانا إلى حذف جزء معين من النص لينصب الاهتمام بالشيء المذكور، حيث يكون «ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الفائدة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا ما لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[1]. وتبقى هذه الأقوال من حيث التطبيق الكلي على النص القرآني نسبية نوعا ما، لتفرده بأسلوبه الخاص في عرض مادته القصصية، فضلا عن كونه نصا مقدسا.

إن سورة القصص من السور التي تظهر فيها تقنية الحذف والخلاصة، كونها تعرضت بالتفصيل لقصة حياة موسى من الميلاد إلى ما بعد البعثة، وقد بسط الله في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى، وفصل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بني إسرائيل الذي إوجب إلقاء موسى حين ولادته في اليم خوفا عليه من الذبح، ثم ذكر قتله للقبطي، ثم فراره إلى مدين، وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه[2]. وقصته قبل المولد أضمرها السرد القصصي، ولم يولها اهتماما لأنها لا تخدم الغرض الرئيسي للقصة «وهي طريقة القرآن في عرض قصصه، بحيث يجعل بينها فجوات

---

(1) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي؛ تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ 1989م، ص146.

وعبد القاهر الجرجاني (...471هـ=...1078م) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر، واضع أصول البلاغة. كما أن أئمة اللغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق من كتبه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، و(الجمل) في النحو، والمغني في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءا اختصره في شرح آخر سماه (المقتصد) في الظاهرية، و(إعجاز القرآن) و(العمدة) في تصريف الأفعال و(العوامل المئة).

لنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مج4، ص48 49.

(2) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1373هـ 1953 م، المراغي (...1371هـ=...1952م)، أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم الإسلامية بكلية غوردون، بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب منها (الحسبة في الإسلام)، و(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، (تفسير المراغي) ثماني مجلدات، (علوم البلاغة). انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مج1، ص258.

فنية، يملؤها الخيال، فلا يفوت القارئ شيء من الأحداث والمناظر المتروكة بين المشهد والمشهد مع الاستمتاع الفني بحركة الخيال الحية»[1] الأمر الذي يؤدي حتما مع حذف هذه الأحداث إلى تسريع للسرد ولوتيرة الزمن، وإيراد الأحداث المتعلقة بولادة موسى والظروف المحيطة بذلك في هذا التمهيد، المتعلق بفرعون وهامان وفسادهما في الأرض في قوله تعالى: ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين...** ﴾[2].

ففي هذا التمهيد مرور سريع على فترات زمنية طويلة، فمثلا ما ورد في نهاية الافتتاحية الارتدادية من التلخيص الارتدادي، الذي يمر فيه السارد هنا مرورا سريعا على الأحداث المتعلقة بقصة الفاعل قبل المولد، وهذا يهدف إلى إعداد القارئ لما سيجيء فيما بعد من الأحداث والشخصيات المتعلقة بسرد أحداث القصة، والمرتبطة بذلك الماضي البعيد، وبهدف تسريع حركة السرد أيضا.

كما أرّخ هذا التمهيد لقصة موسى، ولم يذكر بهذه الصورة إلا في سورة القصص، على أنه بدء لتاريخ موسى وقصته من قبل الولادة، فكانت العبارة أشبه بمقدمة القصة التي تسلكها من البدء إلى النهاية، بأخصر عبارة وأوجزها[3].

لقد كان من وظائف الخلاصة في تسريعها للسرد ولوتيرة الزمن، هذا التقديم العام للمشاهد المتعلقة بالظروف المحيطة بالميلاد، وكيف ربط السرد القرآني بينها، ليبدأ الفصل الأول من قصة ميلاد الفاعل، حيث اقترنت ولادته مع قرار فرعون بقتل الأطفال، قال تعالى: ﴿**وأحين إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفتي عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾[4].

ومما يلاحظ على هذه الآية إضمارها لقرار فرعون بالقتل، كما أضمرت ولادة موسى، وصلتها بذلك القرار، وفي هذا تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، واتجهت مباشرة إلى

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2677.

(2) القصص: 4 6.

(3) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص330.

(4) القصص:7.

قضية الرضاعة، ويقذف في اليم حالة الخوف من القتل، ومما يلاحظ أيضا هو أن سورة القصص تطوي مدة زمنية غير محددة؛ ذلك أن تذبيح فرعون لبني إسرائيل دام سنوات لم يشر إليها السرد، وإنما أوردها في صيغة قص موجز معرضا عن ذكر المؤشر الزمني، فجاءت الآيات تنبيها لأي مدع للألوهية يعلو في الأرض.

وما ذكر في سورة القصص ذكر لحياة موسى الأولى والظروف التي أحاطت بهذا الميلاد، وكل هذا في غاية التفصيل، والبيان حتى أن السرد القصصي لأحداثها جاء بتسلسل زمني موضوعي: بدءا بالوحي بالإرضاع، ثم بعد الخوف عليه من بطش فرعون، إلقاؤه في اليم، هذا على العكس تماما مما ورد في سورة طه التي نجد فيها تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن بحذف حادثة الإرضاع على الشكل الآتي: ﴿**اقذفيه في التابوت...فاقذفيه في اليم...فليلقه اليم بالساحل يأخده عدو لي وعدو له**﴾[1].

ففي هذه السورة أوامر بسرعة قذف في التابوت (الذي لم يأت له ذكر في القصص) فتبعه قذف في اليم فيتبعه أمر بإلقاء اليم له بالساحل: فأمر لفرعون يأخذه ليكن عدوا له[2]، كما أضمر السرد القرآني حادثة الالتقاء بالابن موسى، ولا كيف جرت تلك الأحداث وهذا لما كان موسى في بيت فرعون، وموقف امرأته من الوافد الجديد على البيت، وحفظ الله له ورده إلى أمه، بعد أن صور السرد القرآني المشهد السابق لحالة الأم الخائفة القلقة، والتي تتلقى الإيحاء المطمئن، المبشر لينزل على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما، إلا أن السرد القرآني لم يذكر حادثة الالتقاء بالابن موسى، ولا كيف جرت الأحداث تلك[3]. لينتقل مباشرة إلى سرد حادثة موسى في بيت فرعون، والتقاطه له، يقول تعالى في سورة القصص.

لقد ساهمت الإضمارات السابقة في تسريع حركة السرد ووتيرة الزمن؛ من تذبيح الأبناء واستحياء النساء، والإضمار الضمني لحدث الولادة في كل سور القرآن الكريم، المتناولة لقصة موسى عليه السلام ليجد المتلقي نفسه أمام تقديم عام شخصية جديدة،

---

(1) طه: 38 39.

(2) المرجع نفسه، ص333.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2679.

وهي شخصية المولود التي تمتاز بمكانة إلهية خاصة، بحيث أبانت القصة عما سيكون من أمر هذا المولود مع عدوه إذ يرى في قصره ويضمر السرد الفترة الزمنية التي قضاها موسى هناك فيطويها بإضمار محدد أفصحت عنه الآية الرابعة عشر **(ولما بلغ أشده)**، واكتمال الأشد، اكتمال القوى الجسمية، والاستواء اكتمال، النضوج العضوي والعقلي، وهو يكون عادة في سن الثلاثين[1].

لقد اختزلت فنية السرد مراحل زمنية، تستغرق أطوارا من عمر موسى منذ الوضع حتى البعثة، في ثلاث آيات مسجلة بمرورها السريع على فترات زمنية طويلة، وتقديمها العام للشخصية الجديدة، وهذا من خلال الإشارة السردية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿**وإذ أوحينا**﴾، ﴿**فاقذفيه في اليم**﴾، ﴿**يأخذه عدو لي وعدو له**﴾، ﴿**فرجعناك إلى أمك**﴾، ﴿**وقتلت نفسا فنجيناك**﴾، فالسردية هنا إخبارية الإطراد فيها على المستوى الفني جلي، قوامه تلاحق الحدث في صيغة ماضية والزمنية في الآيات ضمنية حركية، تشف عن تعاقب زماني مرحلي: مرتبط بعمر الفاعل موسى، فحدث الإرجاع إلى الأم ذو علة تكفلية، أي من أجل إرضاع الوليد وفي ذلك حصر زماني لم يسفر عنه السياق إلا مجازا[2].

لقد أحالت الخلاصة على ماضي الشخصية الرئيسية، وفيها تم تحديد التعرف على طفولة الفاعل (موسى)، والظروف المحيطة به، كما يمكن أن تعمل الخلاصة على التعريف بمراحل حياته المختلفة صبيا وشابا وكهلا.

وبعد هذا التقديم العام للمشاهد والربط بينها، يمر السرد على فترات زمنية طويلة تلخص حياة موسى، حيث ساهم المرور على فترات زمنية طويلة، في تسريع السرد ووتيرة الزمن، وهذا ما يمكن الوقوف عنده في حالة تقديم الاسترجاع، الذي يعد من الوظائف الهامة للسرد التلخيصي، فإذا كان الاسترجاع هو ترك مستوى القص الأول، والعودة بالأحداث الماضية إلى الوراء، فإنه يساعد على ملء الفراغات الزمنية، الأمر الذي يمكن من فهم مسار الأحداث، وهذا يوجد عند شخصية جديدة بغية التعرف على ماضيها وطبيعة علاقاتها بالشخصيات الأخرى، وفي العودة إلى الماضي إعادة بعث للأحداث

---

(1) في ظلال القرآن. سيد قطب، ص2681.

(2) الخطاب القرآني. مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. سليمان عشراتي. ص116.

السابقة لتفسيرها تفسيرا جديدا، في ضوء المواقف متغيرة أو لإضفاء معنى جديد عليها[1]. وهذا اللون من الوظائف يوجد في العديد من المواقف التي تميز حياة موسى منها الارتداد الزمني بأحداث القصة إلى الوراء، وتحديدا إلى ما قبل البحث عن النار بداية من الآية (37) إلى الأحداث الأولى من حياة موسى؛ أحداث إلقائه في التابوت مع إشارة عابرة إلى نجاته من اليم وقتله للنفس، وليثه في مدين[2] في قوله تعالى: ﴿**ولقد مننا عليك مرة أخرى، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني، إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى**﴾[3].

إن في سبب العودة بالأحداث إلى الوراء وتفسيرها تفسيرا جديدا، وهذا بغية تحديد طبيعة العلاقة بين الشخصية المقابلة شخصية فرعون أو لإضفاء معنى جديد يساعد على تسريع السرد ووتيرة الزمن، أو يضفي معنى جديدا على المسار الحدثي للقصة: وبعد الحذف والتقطيع يعود السرد من جديد للأحداث المتصلة بموسى وعلاقته بفرعون، وهذا الحذف للأحداث لم يغير من سير أحداث القصة شيئا، فمضت في حركتها العادية لحين انتهائها بواقعة البحث عن النار التي وصلها بحادثة تكليم السماء لموسى في قوله تعالى: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك بالوادي المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى...واتبع هواه فتردى**﴾[4].وتفسير هذا الارتداد الزمني لسير أحداث القصة من النهاية إلى المراحل الأولى من حياة موسى، هو ربط للاحق بالسابق، بالعودة من جديد إلى متابعة ما قطعه السرد، كما أن فيه تذكير بالعطاءات المتكررة، وهذا في تذكيره بالمراحل الأولى من حياته ليربطها بعد ذلك مباشرة بالنقطة التي حذف سلسلة

---

(1) بناء الرواية: سيزا أحمد قاسم، ص40.

(2) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص363.

(3) طه: 37 40.

(4) طه: 11 16.

السرد من خلالها، «حيث عاد من جديد إلى حادثة التكليم، لتقطع أحداث هذه الأخيرة، ويطالب موسى بالذهاب إلى فرعون، هذه الأحداث التي قطعها السارد، تذكر موسى بنعم السماء عليه، وارتد بذلك إلى مراحل حياته التي انتهت إلى حادثة التكليم، ليعود السرد من جديد إلى النقطة التي توقف عندها، قبل ارتداد الأحداث إلى الوراء، ليعود إلى التسلسل الزمني، وذلك بمطالبة موسى بالذهاب إلى فرعون، حيث نواجه تفصيلات جديدة، في هذا الموقف فبدأت بمواجهة فرعون، إلا أن السارد يحذف بعض الأحداث المتصلة بواقعة الذهاب إلى فرعون، هذا الحذف الذي أدى إلى تسريع السرد ووتيرة الزمن، كما حذف طريقة المواجهة التي بدأها موسى مع فرعون، فأمر موسى باللين في القول والمعاملة، لأن الموقف يتطلب مثل هذا النوع من التصرفات التي تتناسب وتركيبة الشخص.

كما حذف من أحداث القصة أسباب دخول موسى المدينة، وهذا بغية التركيز على الحادثة الرئيسية، حادثة القتل، حيث يقول تعالى: ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه...** ﴾[1].

فالنص حذف سبب الاقتتال بين الرجلين، وهذا الإضمار عائد إلى نقل المتلقي لعمليات استكشاف جديدة يمارس من خلالها تذوقه الفني للقصة ليتضخم بذلك عنصر الإمتاع الجمالي والفكري لديه[2]، كما أن السردية القرآنية لا تتبع الجزئيات والتفاصيل الثانوية... فكان من خصائص القصة القرآنية عدم التركيز على الأحداث التي لا تقوم بوظيفة ما في السرد، الأمر الذي يقتضي حذفها، وقد يكتفي السرد القرآني في بعض الأحايين بذكر ما له علاقة بغرض العرض وقصده، فيوجز فيما يعرض، ويعدل عن التفصيل بقصد تركيز الذهن على قضية واحدة ودون تشتيته، مثال ذلك ما جاء في حادثة السقي لبنتي شعيب من قبل موسى، إذ حذف المفعول من أربعة مواضع، والغاية من ذلك تسريع للسرد لوتيرة الزمن، بالتركيز على الفعل المقصود؛ والأفعال المحذوفة هي (يسقون، تذودان، نسقي، فسقى)، فحذفت هذه المفاعيل، وكان الأصل أن تأتي العبارة على هذا النحو «وجد

---

(1) القصص: 15 16.

(2) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني: ص453.

عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم. أو مواشيهم ومرأتين تذودان غنمهما. وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما»[1]. وإذا كان في حذف هذه المفاعيل تسريع للسرد ولوتيرة الزمن، فإن الغرض من ذلك هو القيام بأمر الدعوة إلى الله، لهذا أيضا أضمر السرد القرآني مدة عشر سنوات، التي تمثل الأجل المتفق عليه بين موسى والشيخ، فيقول تعالى: ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله...**﴾، فأضمر السرد مدة عشر سنوات عاشها موسى في مدين، ويلي هذا الإضمار المحدد طي الفترة الزمنية التي اشتغرقها موسى في العودة إلى مصر وكيفية مقابلته لأخيه هارون، وما كان من أمر أخيه عند سماعه بتكليف الله لهما.

لقد دامت إقامة موسى بمدين عشر سنوات طبق فيها القرآن تقنية التلخيص، وهذا تسريعا للسرد ولوتيرة الزمن، وإن هناك فرقا بين خلاصة تختزل يوما أو جزءا من اليوم، فكلما زاد طول المدة الملخصة، كلما ازدادت سرعة السرد الذي تتم به الخلاصة، وهذا أمر طبيعي في التحليل، لأن تلخيص أحداث عشر سنوات مثلا سيقضي هنا عرض السرد بأسرع مما لو كان علينا تلخيص أحداث يوم فقط، من أحداث أكبر وأهم مما حصل في سنوات عديدة.

وتستمر تقنية الحذف مصاحبة لقصة موسى، وغرضها من كل ذلك هو الوصول إلى الهدف العام الذي يبتغيه السارد، المتمثل في تبليغ الرسالة، فتحذف الأحداث المتعلقة بواقعة ذهاب موسى إلى فرعون، والأحداث المتعلقة بالمواجهة بين موسى والسحرة، هذه المواجهة التي كان المتلقي ينتظرها، بعد أن شوقه السرد إليها ليكتفي بعرض موقف القوم من الآيات التي جاء بها موسى، وسورة غافر التي تقدم للقارئ شخصية جديدة، هذه الشخصية التي تكشف عن أحداث لم تسردها القصة عند حديثها عن مواجهة موسى مع قوم فرعون، في قوله تعالى: ﴿**وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**﴾[2]، وإجابة موسى هذه لها من الفاعلية الزمنية على سير سرعة السرد في هذه السورة، وهذا من خلال الوظيفة التي قدمتها الخلاصة والمتمثلة في التقديم العام للشخصية الجديدة.

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص161.

(2) غافر: 27.

2-تبطئ السرد ووتيرة الزمن (الوقفة والمشهد):

وتعمل هذه التقنية على استخدام صيغتين هما: السرد المشهدي، وتقنية الوصف؛ فالسرد المشهدي يتحكم في سرعة القصة؛ فضلا عن الحركات السابقة، وهو من أقرب التقنيات السردية تطابقا بين زمني السرد/القصة، إلا أنه ومن الصعب قياس سرعتها، بسبب لحظات الصمت، والتكرار التي تتخلل المشاهد الحوارية، جاعلة من الاحتفاظ بالفرق بين زمني حوار السرد، وحوار القصة قائما على الدوام[1]. وهذا ما يوجد وبشكل كبير في قصة موسى: حيث يشكل الحوار حيزا كبيرا في سير أحداثها، كما يوجد موزعا بين ثنايا مختلف السور التي وردت فيها هذه القصة.

والغرض من هذه التقنية هو تصوير الشخصية من الخارج، أو عرض حالتها النفسية من خلال المناجاة، مما يسهم في تفسير سلوكها ومواقفها المختلفة.

إن ما يمكن قوله في هذه النماذج هو أن قصة موسى تحوي بين طياتها العديد من المشاهد التي تعمل على تبطيء حركة السرد ووتيرة الزمن، وهذا ما يمكن ملاحظته في بداية سورة القصص، فقبل الحديث عن ميلاد موسى المكلف بأداء الرسالة تعرض السورة الجو العام الذي تدور فيه الأحداث، والظروف التي تجري فيها القصص ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث، والتي من أجلها يسوق هذا القصص، وهي من طريقة العرض القرآني للقصة تساوق موضوعها وأهدافها[2]،فهذا المشهد الطغياني الذي أرخ لقصة موسى لم يذكر بهذه الصورة إلا في سورة القصص، على أنه بدء لتاريخ موسى وقصته قبل الولادة، فكانت العبارة أشبه بمقدمة للقصة التي تسلكها من البدء إلى النهاية بأخصر عبارة وأوجزها[3].

لقد عمل المشهد في هذه الافتتاحية على الاستهلال بهذه المقدمة، التي ستسهل على المتلقي فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي مصائر الشخصيات، ومن أن أمر القيام بالدعوة طريق تكتنفه المصاعب والمشقات، سيكون سببها فرعون وملؤه، لذا مهّد السرد القرآني واستهل أحداث القصة بعرض مشاهد الظروف المحيطة بهذا الداعية إلى الله.

---

(1) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ص78.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2677.

(3) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ص330.

وتبدأ سورة القصص بسير بطيء في عرضها لأحداث القصة، هذا البطئ الذي ينبئ عن صراع حقيقي بين موسى وفرعون، والقائم مداره على الشخصية المركزية في القصة، شخصية موسى المضمرة ولادته لنجد أمه خائفة قلقة، نفسيتها مضطربة «وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، هاذي بطفلها الصغير عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة... ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة»[1]. ليتد خل الحل الإلهي مطمئنا ومهدئا روعها في قوله تعالى: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى...ولا تخافي ولا تحزني إن رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾[2].

هذا الاضطراب النفسي صوره القرآن الكريم قبل سورة القصص في سورة طه، إذ يقول تعالى: ﴿**ولقد منا عليك مرة أخرى، إد أوحينا إلى أمك ما يوحى، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يكفله عدو لي وعدو له...** ﴾[3].

لقد صور السرد القرآني في هذه الآيات وباستخدامه لتقنية الوقفة الحالة النفسية للأم أثناء خوفها على رضيعها، فحلل نفسية الظالم، الطاغية قبلها، مما كان له من آثار سلبية على شخصية الأم، فكان أن صور السرد الشخصية والحال النفسية التي كانت عليها، فساهم هذا التصوير في تفسير سلوكها ومواقفها المختلفة.

أما المشهد الذي يلي هذه الأحداث، فهو مشهد موسى في بيت فرعون، وموقف امرأته من الوافد الجديد على البيت، وحفظ الله له، ورده إلى أمه، بعد أن صور السرد القرآني حالتها المضطربة، والقلقة والتي تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر لينزل على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما[4] في سرده لحادثة موسى في بيت فرعون والتقاطه له ،ومن نماذج الإبطاء التي نجدها في قصة موسى، والتي من شأنها أن تسهم في الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، حيث يقوم القصص القرآني برسم بضع نماذج إنسانية من شأنها أن تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية، وشخصية موسى

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2678.

(2) القصص: 7.

(3) طه: 37 39.

(4) المصدر نفسه، مج5، ج20، ص2679.

تمثل نموذجا للزعيم المندفع العصبي المزاج، ويبدو الانفعال واضحا[1]، في قوله تعالى: ﴿...**فوكزه موسى فقضى عليه...** ﴾[2].

ويتمثل الإبطاء في هذه الآية، في المسافة التي قطعها موسى، من مصر إلى أن وصل إلى مدين مر عليها السرد مرا خفيفا، وبعد حادثة القتل هذه التي كشفت عن شخصية موسى العصبية، يظهر بعدها بشخصية أخرى مخالفة للأولى، وهي شخصية إنسان مذنب تائب يرجو رحمة ربه، وغفرانه هذه الشخصية التي تلجأ إلى المناجاة في هذه الآيات: ﴿**قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت عليه فلن أكون ظهيرا للمجرمين**﴾[3]. أما الصورة الأخرى التي تمثل الوقف وتصوره للشخصية من الخارج أو تعرض حالتها النفسية من خلال المناجاة ما يوجد في قوله تعالى: ﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين، فخرج منها خائفا يترقب قال رب...** ﴾[4]، فالسارد هنا بصدد وصف الرجل الذي يجيء إلى موسى من أقصى المدينة يحذره التمار الملأ من قوم فرعون به، والوقفة تظهر جلية واضحة، فأثناء سرد النص للحوار الذي كان قائما بين موسى والرجل القبطي في قوله تعالى: ﴿...**قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين**﴾[5] قلت يتوقف السرد بعد هذا الحوار ليظهر الرجل ناصحا، وواصفا نفسه (**إني لك من الناصحين**)، ثم يتواصل السرد من جديد لتظهر وقفة وصفية أخرى، حيث يقول تعالى: (فخرج منها خائفا **يترقب**)[6]، فنلمح مرة أخرى السمة الواضحة في الشخصية الانفعالية، التوفز والتلفت ونلمح معها التوجه المباشر بالطلب إلى الله، والتطلع إلى حمايته ورعايته والالتجاء إلى حماه في المخافة»[7].

---

(1) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص164.

(2) القصص: 15.

(3) القصص: 15 17.

(4) القصص: 20 21.

(5) القصص: 19.

(6) القصص: 21.

(7) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج20، ص2685.

إن القصة القرآنية لم تلجأ إلى الوصف ليس بغرض الوصف فقط، ولكن لإضافة شيء يكون مفيدا للسرد، فالوصف وسيلة وليس هدفا، أي أنه جزء من الكل؛ وليس أجزاء مكونة للموضوع وعليه فمهما كانت وظيفة الوقفة الوصفية فإنها دائما تشكل بظهورها في النص وفي جميع الوجوه والحالات توقفا للسرد أو على الأقل إبطاء لوتيرته. وقد يسجل المشهد أحيانا –وهذا من وظائفه– مواقف نهائية للشخصيات أو إعلانا عن حصول اتفاق أو افتراق ما بين أطراف القصة، كما كان في عملية السقي التي فضلت المشهد تفصيلا دقيقا، وأراحت موسى من عناء ما لاقاه في سير الأحداث السابقة من فرعون وملئه: وقضية قتله لأحد الأقباط إلى إنقاذه من الماء وهو يتجه إلى مدين لتأتي هذه المرحلة وتضمن المستقبل لموسى بعد الحوار الذي جرى بينه وبين شعيب في أمر زواجه بإحدى ابنتيه فحصل الاتفاق «وقبل موسى العرض وأمضى العقد في وضوح كذلك ودقة»[1].

أما القسم الرابع من قصة موسى مع آل فرعون، فيشهد تلك العصبية والنرفزة، فالسنوات العشر التي مرت من حياته لم تجعل منه رجلا هادئ الطبع حليم النفس، فعندما ينادى موسى من جانب الطور الأيمن أن ألق عصاك فإذا هي حية تسعى وما إن يراها يفزع، ويفرّ خائفا، إنه الفتى العصبي نفسه[2].

إن المتأمل في شخصية موسى ومن خلال هذه الوقفة الوصفية يلحظ أنه لا يزال يعاني من الاضطرابات النفسية التي تجعله متخوفا من المواجهة، إلا أن الوقفات والمشاهد القادمة كفيلة بأن تهدئ من روعه، وتتخلل قصة موسى في هذه المرحلة العديد من المشاهد الحوارية والوقفات الوصفية التي لها فاعليتها في سير أحداث القصة من خلال تبطئ السرد ووتيرة الزمن، فالقرآن أدار الحوار على الخواطر النفسية التي تلمّ بالشخص، ويراد به – الحوار– التثبيت أو شرح مبادئ الدعوة الإسلامية[3].

ومن وظائف الحوار في القصة القرآنية أو الوصف المشهدي الذي يسفر عن بناء فكرة لها لحمة منطقية مؤثرة، من ذلك هذا الموقف الذي تحاور فيه موسى مع فرعون في سورة الشعراء

---

(1) المصدر نفسه، ص2688.

(2) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص165.

(3) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ص301.

﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب أباءكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾[1].

إن في هذا الحوار للعقيدة بمفهومها الصحيح اعتمادا على المنهج المنطقي، وهذا ما نجده في هذه الأسباب من سورة طه، حيث يقول تعالى: ﴿إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري، إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر، أو يخشى قال ربنا إننا نخاف أن يفرغ علينا أو أن يطغى، قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى، فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى، ...وأسروا النجوى﴾[2].

فالمشاهد الحوارية إذن تعمل على التخفيف من سرعة السرد، وهذا ما يظهر واضحا في القسم الرابع من قصة موسى، والمتمثل في موسى وآل فرعون، فيظل الصراع قائما بينهما حتى بعد فشل عملية السحر، ولم يتوقفوا ويتوانوا لحظة واحدة ليبدأوا في محاولات جديدة كتحريضهم فرعون بأن موسى يتربص بهم ليقتلهم، ويتخلص منهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذروا موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وألهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾[3]، وفعلا ينفذ فرعون تهديده في هذا الحوار بين موسى وقومه، في قوله تعالى: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، قال أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾[4].

إن المشاهد الحوارية السابقة جاءت في صيغة سردية ممهدة للمراحل القادمة، وبالتالي تسهل على القارئ فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي مصير الشخصيات، كما أن هذا

---

(1) الشعراء: 32 28.

(2) طه: 42 62.

(3) الأعراف 127.

(4) الأعراف: 128 129.

حوار كان غيابه عن إشارة فيه، وإلغاء عنصر مخيف سوف يتحقق لاحقا، عندما يوصل النص القرآني سرده لأحداث القصة في فصولها اللاحقة وهذا الملاحظ فعلا[1].

أضف إلى ذلك أن المشهد الحواري في القرآن الكريم، يأخذ مستويات وأساليب عديدة تتنوع بتنوع شخصياته وتختلف باختلاف المواقف التي ورد فيها، ومن أساليبه التقرير، التلقين، المحاجة، التذكير بالنعم والتخويف بالعذاب، محاولة لتبرير الازدراء والاستخفاف، الوعد والوعيد[2]. وهذه الأساليب تعبر عن التماسك السردي في القصة؛ ومن جملة ما ذكر يجد القارئ لقصة موسى تمادي فرعون وقومه في أعمالهم وإصرارهم على كفرهم، وإيذائهم لبني إسرائيل وما كان من موسى إزاء ذلك ثم ما هدد به فرعون من قتل موسى، وما كان على موسى بعد عمليات التهديد والوعيد المتكررة إلا الانطلاق ببني إسرائيل وهلاك فرعون، وبعد هلاك فرعون تستمر معنا شخصية موسى العصبي المنفعل وهذا ما تصوره لنا تقنية الوقفة الوصفية، التي تحلل شخصية موسى، ونفسيته المضطربة، فلما انتصر على السحرة وعبر ببني إسرائيل البحر، وذهبا إلى ميعاد ربه على الطور، وبطلب رؤيته، قال تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين**﴾[3]: فهذا التجلي الرباني يمثل حادثة لا تحتمل أعصاب إنسانية، ومن هنا نشهد عودة موسى إلى عصبيته في سرعة واندفاع[4]. وتبقى ظاهرة الانفعال العصبية ملازمة لشخصية موسى، قال تعالى: ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا**﴾[5].

ولما ذهب موسى لميقات ربه في وادي طوى لتلقي التوراة، فحدث ما حدث أثناء غيابه بعد أربعين ليلة قضاها موسى في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه

---

(1) دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، ص159.

(2) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص102 103.

(3) الأعراف: 143.

(4) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص165.

(5) الأعراف: 150.

فوجدوه عاكفين على ثور يعبدونه فعلم السامري، والتفت إليه موسى بغضب متوتر ويسأله مستنكرا حتى إذا علم سرّ العجل وهذا في قوله تعالى: ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى الاهلك الذي ظللت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا، إنما إلهكم الله الذي لا إله ألا هو وسع كل شيء علما**﴾[1].

لقد شهدت أحداث قصة موسى بعض المواقف حصول اتفاق بين شخصيتي موسى وشعيب، وكان هذا من وظائف المشهد السردي، إلا أنه على العكس من ذلك تماما، فقد تسرد علينا سورة الكهف لقاء موسى بالرجل الذي لم يستطع معه صبرا حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة ومرة فافترقا، وهذا بعد أن تخلل هذه الوقفة العديد من المشاهد الحوارية بين موسى والرجل الصالح، قال تعالى: ﴿**قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا**﴾[2].

كما يمكن ملاحظة الحوار المشهدي في الحلقة الأخيرة من قصة موسى من خلال الحوار الذي دار بينه وبين قومه، لما أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة، فلما عبر موسى ببني إسرائيل البحر، وسار بهم في شبه جزيرة سيناء قاصدا بيت المقدس، فما أن ساروا قليلا، حتى رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، ثم بعدما ساروا على الطريق طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، فأبوا وعصوا وقالوا لن ندخلها لأن فيها قوما جبارين، وهذا في قوله تعالى:﴿**...يا قومي ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قال يا موسى إن فيها قوما جبارين وإن لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون...قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأسى على القوم الفاسقين**﴾[3].

لقد صوّر لنا هذا المشهد الحواري حالة الجبن التي ألمت ببني إسرائيل عند رفضهم

---

(1) طه: 97 98.

(2) الكهف: 78.

(3) المائدة: 20 26.

للأمر الرباني: فجعل بني إسرائيل هذا على ما يبدو فيه توقيف نسبي لحركية السرد لأنهم إن رضخوا للأمر: فربما تتغير مجريات الأحداث، وتستمر القصة في عرض أطوار أحداثها.

ومن خلال ما سبق، يتبين أن قصة موسى في القرآن الكريم تسير أحيانا سيرا متباطئا، في بعض الأخبار وسريعا في بعضها الآخر، فتنتقل بالقارئ من زمن إلى زمن ومشكلة لمفارقات زمنية مناسبة للغرض العام للسورة التي وردت فيها، لذا قامت هذه الدراسة بعرض مواطن عدم الاتفاق بين زمن القصة، وزمن الخطاب، وذلك من خلال استعراض العناصر الأساسية للإيقاع الزمني في هذه القصة.